رحلة البحث عن الخالق

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩] .

ترجع تسمية عصر فجر التاريخ، وهو ما يطلق عليه أحياناً: عصر ما قبل بداية التاريخ المكتوب، إلى عدم وجود المدوّنات الخطية في أثريات هذا العصر. كما لم تسمح الشواهد الآثارية بتكوين فكرة إيجابية عن ديانة هذا العصر أو أهم أحداثه، والمرجع لما دار فيه من أحداث هو تفسير العلماء للظواهر القديمة والاستنتاجات والتصورات[1].

لذلك هناك أسئلة كثيرة يتساءلها الإنسان في الحياة وعنها، عن خلق هذا الكون على سبيل المثال، وعن حال الإنسان الأول الذي عاش بين جنباته، مستنداً إلى مشروعية هذه الأسئلة لسببٍ أو لآخر.

وربما يقدم البعض تصورات كإجابات عن تلك الأسئلة لخلوّ ذلك العصر من تلك الشواهد.

لكن ليست كل الأسئلة أو التساؤلات مشروعة بالنسبة لكل ما يخطر في بال الإنسان منها، خاصة بما يتعلق في خلق الكون منها، فلقد قدم القرآن الكريم إجابات واضحة تماماً عن ذلك، فأعفى الإنسان من اللجوء إلى تلك التصورات، وألغى وجوب وجود مثل تلك الشواهد لأنه يبيّنها كاملة، فكانت الدليل القاطع بالنسبة للإنسان المؤمن على ما يريد معرفة الإجابة عنه في هذا المجال، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ١٧٦]. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢] أما عن حال ذلك الإنسان خلاله فلا داعي لأن نسمح لخيالاتنا بتقديم تصورات عنه، بل الأفضل أن نركب معاً سفينة الزمن ونعود بها إلى الوراء الأخير، علنا نرى ـ ولا نتخيل ـ حال الإنسان أمام مظاهر الكون وصورتها في عينيه، أو نرى تأثيرها فيه وتأثره بها.

---

(١) القمني: د. سيد محمود. أوزيريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة، ص ٢٠.

* نصل فنجد أنفسنا بين فراشٍ وبناء[١].

المنظر لا يثير فينا أية دهشة أو استغراب، بل الذي يثير الدهشة فعلاً، إنسان وقف مشدوهاً، حائراً، خائفاً، فلننظر.. وقد نبقى هنا أياماً أو شهوراً. ومما نرى:

أرضاً مسطوحة ممدودة، وسماءً مرفوعةً بغير عمد، فيها بروج مزينةٌ للناظرين، وجبالاً منصوبةً نحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب.

وسحباً مزجاة ثم يُؤلّف بينها ثم تصير ركاماً.

ونجوماً وكواكب وطيراً وحجراً.

وظلاً لو شاء الذي مدّه لجعله ساكناً.

ومما نسمع: أصوات رياح تثير سحاباً.

وخريراً وحفيفاً وفحيحاً وزئيراً...

ثم نرىٰ ليلاً يُولَج في نهار، ثم نهاراً يُولج في ليل.

وشمساً تجري لمستقرّ لها، وقمراً مقدراً بمنازل، لا الشمس تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكلٌّ في فلك يسبحون.

وأنعاماً لا تخيفنا لأنها مألوفة لدينا، لكن منظرها يبعث على الرهبة في نفس ذلك الإنسان المسكين الخائف الحائر، حتى مما هو لطيف منها، فهي ليست من بنات جنسه وغير مألوفة لديه.

نراقب تصرفاته فنجد أنه يقوم بها مدفوعاً بغرائز غير واعية أو كاملة لديه، تحكمها اختلاجات قلبه.

إنه يبدو لنا عاجزاً عن فكّ الأشياء وتحليلها وتركيبها ليصدر بحقها حكماً ما. وعلى الأغلب أن خوفه مما يرى أو يسمع قد شلّ آلية عقله عن التفكير بما يحيط به.

---

(١) قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البَقَرَة: ٢٢].

لا تزال هذه المناظر والظواهر تزداد في عينيه فتزيد في حيرته وخوفه. فلما نزل من السماء ماء وأُحييت به الأرض بعد موتها، صارت مخضرّة، وأُنبت فيها من كل زوج كريم، فتغيرت الألوان في عينيه ودُهش بها، أما تلك الظواهر كالبرق والرعد والصواعق، فقد كانت تلقي الرعب في قلبه.

ظلّ ذلك الإنسان الأول أسير ذلك المحيط الذي عجز عن فهمه وتفسيره، يعيش منفعلاً بما يرى ويسمع، وقلّ أن يكون فاعلاً ببعضهما، ويعاني بشكل أو بآخر من الشعور بالقلق أو من عدم الشعور بالأمان.

وأكثر ما راعه جثة أخيه حين همدت أمام عينيه لا حراك بها[1].

نستغرب منه ذلك وهو سليل آدم عليه السلام المتعلّم. لكن استغرابنا يزول حين نقترب منه فنعرف أن الإنسان الذي ابتعد عن الله، فآل ابتعاده عنه به إلى تلك الحيرة والمخاوف، وأتاح للبعض إطلاق العنان لتصوراته ثم يكتب عنها ما يشاء متجاهلاً كتاب الله وما جاء فيه.

أجدادنا لم يتركوا موتاهم دون لحدٍ في العراء فريسة للأوابد، بل دفنوهم في قبور بطريقة حضارية منذ أول حادثة وفاة في التاريخ، وكانت بالقتل، قام بها ولد آدم قابيل الأناني السوداوي النظر، الذي يفعل الخطأ والشرّ ثم يندم عليه ويعجز بعد ذلك كيف يحل مشاكله التي يقع فيها.

ولا تزال هذه الطريقة الحضارية مستمرة مذ ذاك إلى وقتنا الحالي، لأن الإنسان لم يستطع أن يبتكر طريقة أكثر حضارية منها.

لماذا؟

---

(١) في مقالة بعنوان: «اهتمامات ميثولوجية» نشرت في العدد رقم ٢٦/ ١٩٨٧ من مجلة الكرمل يقول مؤلفها السيد علي الشوك: «إن الإنسان لم يعترف بأمومة الأرض إلا بعد أن وعى وأدرك أنها ولية نعمته وبعد أن عرف كيف يلحد موتاه تحت التراب. وأضاف: إنه يُعتقد أن إنسان نياندرتال الذي عاش في المرحلة الواقعة بين ١٠٠ ألف سنة ـ ٤٠ ألف سنة خلت كان أول من لجأ إلى دفن موتاه، وقبل ذلك لم يختلف أجدادنا عن الحيوانات في ترك موتاهم دون لحدٍ في العراء».

لا يحق لمثلي ولا لغيري أن يجيب وقد أجاب الله سبحانه وتعالى بنفسه عن ذلك.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] لقد كرّم الله بني آدم، عن سائر المخلوقات بمميزات عديدة، أولها وأهمها العقل الذي يقبل العلم، فعلّم الله آدم الأسماء كلها، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البَقَرَة: ٣١]، وهي أسماء المخلوقات التي لم يعلّمها كلها للملائكة، وبعد ذلك طلب إلى آدم أن يخبر الملائكة عن هذه الأسماء، ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البَقَرَة: ٣٣].

هذا عن مخلوقات الله، أما عن حادثات الحياة فلقد علّم أول سليل لآدم كيف يدفن ميته، وقصة ذلك وردت كاملة (سبباً وتصرفاً ونتيجة وتوجيهاً) في القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧]، أي اقصص يا محمد خبر ابنيْ آدم هابيل وقابيل، بالحق: أي كما حصل في الواقع، حيث قدم كل منهما قرباناً وهو ما يُتقرب به إلى الله تعالى، فتقبل الله القربان المقدم من هابيل ولم يتقبل القربان المقدم من قابيل، فغضب هذا على أخيه هابيل وقال له: لأقتلنّك لأن الله تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني، فقال هابيل: إنما يتقبل الله من المتقين الذين يعملون بأوامره ويخافون عذابه. ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المَائدة: ٣٠]، ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المَائدة: ٣١].

ولعلنا قد لاحظنا في الآية رقم (٢٧) من سورة المائدة التي سبقت أن الإنسان منذ سليل آدم الأول وهما ابناه قد انقسم إلى إنسانين: واحد يتقي الله ويخاف عذابه وهو الذي قُتل ومات، والآخر هو الذي ابتعد عن الله بعدم تقواه له فتاه في الحياة.

لنتقدم معاً بضع خطوات إلى الأمام، ولنتابع مراقبة ذلك الإنسان الحائر التائه الخائف الذي انتشر في الأرض، واختلفت ألسنته وألوانه، لعلنا نعرف سبباً لخوفه وباعثاً لحيرته الحقيقيين.

لقد حملت الطبيعة الإنسانية له بذور إحساس تفتح لديه بنسبٍ متفاوتة بحسب تعامله مع الظواهر، فازدادت معرفته بها وبما تُنوقل إليه من أخبار، أو بواسطة ما أري إليه أو ما استدل عليه بنفسه بطريقةٍ أو بأخرى. لقد روّض بعض الحيوان، وميّز بين الألوان، وركب البحر الذي كان يخيفه لاشتماله على حياة أكثر هولاً، وأكل من خيره الوفير، واهتدىٰ بالنجوم بين ظلمات البرّ والبحر.

طقطق بالحجر، وجعل من الشجر الأخضر ناراً أوقدها، واتخذ لنفسه مكاناً يدرأ عنه المطر، ويبعد عنه الخوف من البرق والرعد.

ومن الأنعام حصل على دفءٍ ومنافع، ومنها أكل، وعليها حمّل أثقاله.

صار الليل عنده للراحة ينام فيه ملء جفونه، والنهار صار للمعاش يبحث فيه عن رزق له، فمشىٰ إلى أماكن لم يكن يجرؤ على الوصول إليها، فعرف من خلالها الاتجاهات دون ربما أن يسميها.

تفاعلات كثيرة تمت بينه وبين بعض تلك الظواهر، فقلبت بعض الإحساس لديه من مخيف إلى أنيس ولطيف، ومن المؤكد أنه قد تحقق معها بعض الأمان بالنسبة لبعضها، أما بالنسبة لبعضها الآخر فربما ظلّ حذراً لعدم تعامله معها بعد.

ولكن... أنظن أن تلك هي مشاكله الحقيقية؟

لا يعتقد العاقل والمؤمن ذلك أبداً، فمشكلته تكمن في حيرته في أمر هذا الكون، ففي عينيه صنعة لا بد من مبدعٍ قد صنعها، في ذلك الذي ابتعد عنه فافتقده، والمفروض أنه من الصنعة يعرف الصانع.

لقد كان لإرهاصاته أثر في مشاعره يشبه قرع الجرس في تنبيه الغافل، ولعل أهم إحساس تشكل لديه أنه أضعف من الظواهر الكونية وبعض المخلوقات، ومن طبع الضعيف أن يلجأ إلى القوي، هذا هو صلب المشكلة، وهذا هو المفقود الذي ضيّعه هو بابتعاده عنه فعاد يفتش عنه من جديد.

من هو بالتحديد ذلك القوي؟ إنه لا يزال غائباً عن ذهنه، ولكن الالتجاء إليه هو حاجة أملتها عليه ظروفه النفسية بشكل رئيس، أساسها الشعور بحاجته إلى ذلك القوي الذي دفعته فطرته ودواخله المتأججة في قلبه للجوء إليه، يقدّسه ويدين له تقرباً منه، نفعاً لنفسه أو اتقاء لشـرّه أو ضماناً لعطفه أو درءاً لغضبه،

أو لكل ذلك معاً، وكانت حاجته تلك مبنية على أسئلة عديدة يأتي في أولها: من؟ ولماذا؟ وكيف؟.

وعلى هذا الأساس راح يبحث عنه بحسب توهّمه أو تخيّله، وفي أحسن الأحوال ربما بما يمليه عليه عقله القاصر، الذي لا بد قد وعىٰ أن ميزةً ما يجب أن تتحقق فيه وأن يتفرّد ذلك القويّ بها، فانقاد إلى بعض الظواهر حيناً دون تحديد واضح لمعنى القوة الذي اتخذ في عينيه وقلبه أشكالاً عديدة، إذ كانت تتراءى لعينيه إيحاءات تشير إلى أن كلاً منها هو الأقوى بشكل أو بآخر، لسبب أو لآخر.

وقد يصعب على هذا تحديد اختياره الأول للظاهرة التي قدّسها على أنها الأقوى، ويمكن التكهّن بأن منطقه المخلخل قد دفعه لتقديس الآبار أو الجبال، لأنه دُهش بها فقدّسها لندرتها أو لميزة مافي إحداها، فالآبار أكثر عمقاً، والجبال أكثر ارتفاعاً لدرجة جعلت من الصعب عليه في بداية الأمر أن يصل إلى نهاية إحداها، فلما نزل إلى قاع البئر، وصعد إلى ذروة الجبل، وهو كإنسان لن يصعب عليه ذلك والتجربة إحدى غرائزه، عزف عن تقديسها لأنها لم تغيّر من واقع الحال الذي يعيشه في شيء، فاتجه تفكيره للبحث عما هو أقوى منها. ربما كانت الريح التي اقتلعت بعض الأشجار أمام عينيه، ولكن ما بالها حين أسبغت عليه شعوراً باللطف والانتعاش؟

وربما كان الرعد، حتى تبيّن له أنه ما هو إلا زمجرة قد يُطلق بعض الحيوان أقوى منها. تنامت أسئلته في التفكّر في أمر هذا الكون، واتسعت معها دائرة عقله وتفكيره، فاستبعد أن يقدّس كل ظاهرة، ساعدته الأُلفة التي نشأت بينه وبينها، وأحسن التعامل معها فقللت شيئاً من خوفه ومن حيرته بعد أن دخل كنهها وعرف شيئاً عن ماهيّتها. وتأكد من صحة شرطه الوحيد بأن تكون الأقوى من بين الظواهر مهما كان نوع القوة الذي تتحلى به، وهكذا، فما كان يقدس ظاهرة ما على أنها الأقوى من غيرها حتى يتبين له أن هناك من هي أقوى منها، لأنه وجد فيها قوى مؤقتة تزول بفعل إرادة مختلفة وعىٰ وجودها ولم تزل حقيقتها غائبة عنه.

قدّس الشمس لأنها تمدّ جميع المخلوقات بطاقةٍ عظيمة راح هو نفسه يبحث

عنها أثناء غيابها عنه، خاصة وقد عرف أنها تؤثر في جميع المخلوقات بشكل أو بآخر ولا تتأثر بإحداها، ولكن ماهي إلا ساعات قليلة وتغرب فيحل محلها قمرٌ ينير وجوده ويحرك فيه عواطفه وبعض غرائزه، ثم يغيب عن ناظريه.

ولفحت النار وجهه حين اقترب منها، وأكلت كل ما حولها، فتراءى له أن تكون أقوى من كل تلك الظواهر. خاصة وأنها لا تملك صفات المادة التي تمتلكها بعض الظواهر الأخرى، وتتراقص أمامه بشكل كان يخيفه آخذة لنفسها أكثر من لون، فقدّسها، لكنها فقدت هيبتها أمامه بعد أن تعلم كيف يطهو طعامه عليها، وبعد أن أطفأها بفيه أو ببعض الماء، وبعد أن صار يشعلها حينما يريد ويطفئها حينما يرغب.

ولا شك أن وظيفة عقله بعد ذلك كله قد تطورت فصار إنساناً اجتماعياً يعيش مع القطيع الذي ربما أعطاه صفةً أكثر إنسانية من ذي قبل.

ثم توصل بعد ذلك إلى جملة حقائق تفيد بأن ما يبحث عنه مختلف عن كل ما يظن أو يرى أو يسمع أو يحس. فالذي ينزّل المطر ويصرّف الرياح وينشىء السحاب و... هو واحد له مثل أعلى في السموات وفي الأرض، وله صفة أو صفات تختلف عن صفات كل تلك الظواهر التي لم تشكل عنده قوة حقيقية تتوافق في عينيه أو أحاسيسه، وتنسجم مع ما يفكر فيه، وفق نظام متوازن تأكد منه، وبأن هذا الواحد هو الذي ينظم هذا الكون ويضع قانون حركته.

تلك الإرهاصات كانت محرّضاً له في الأزمنة التالية للبحث عنه، مؤمناً بأنه القوة التي لا تتلاشى، القوة التي تملك إرادة لكل شيء وقدرة على كل شيء، قوة حقيقية لا تخضع لأي تأثير، ولا لأي تغيير أو تبديل.

لقد تطوّر كثيراً عن الإنسان الذي سبقه واختلف عنه اختلافات كثيرة، بالأهواء والطِّباع والميول والتصرّفات، ورؤية الحاضر والنظر إلى المستقبل وغير ذلك، وتشابه معه بحبهما للطبيعة وتمسكهما بالحق والخير، ولعل من أهم مظاهر هذا التشابه بينهما هو تعلقهما بالواحد الذي أبدع كل شيء، هذا الواحد الذي لم يقترب منه بعد مع أنه ـ الواحد ـ كان قريباً منه منذ خَلَقَهُ.

ولأن عقله لم يتفتق بعد عن الوصول إلى حقيقته وكنهه، لعدم اكتمال

مداركه، فلقد أراد أن يمثله بهيئة ما، ورأى في الحجر خير وسيلة لتحقيق هذه الرغبة لديه، خاصة أنه وجد الحجر أولىٰ بالتقديس حتى من النار التي أكلت كل ما حولها إلا الحجر فلم تؤثر فيه، فصنع من الحجر تمثالاً لتلك القوة، وقدّسه على أنه هي، رغبة منه في تحريرها من الظواهر التي يراها في عالمه.

وتمثّل هذا التمثال في عاطفته وفي ذهنه، وبه عبّر عن تجاوز الواقع وجسّد تطلعاته إلى احتضان المطلق، فوقع في الشرك عن قصدٍ منه أو عن غير قصد، مدفوعاً في الحالتين إلى تحقيق غريزة التدين لديه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، ولأجل ذلك، ورحمة منه تعالى أرسل له رسولين:

رسولاً من الداخل، من نفسه وجسده هو العقل الذي لم يفلح في هديه لدىٰ الأكثرية إلى ما يبحث عنه، مع أنه تعالى حرّك فيه حاسة النظر إلى نفسه وإلى ملكوت السموات والأرض.

ورسولاً من الخارج، وهم الأنبياء والصالحون الذين تعاقبوا على تلك الأقوام التي انتشرت في الأرض، وقد أفلحوا في هدي البعض وعانوا ما عانوا في هدي الكثيرين. وكان منهم من سخر من هؤلاء، وهو سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي عرف الله واستدل على ألوهيته فتوصل إلى وحدانيته، وتخلّص من تأملاته في أمر خالقه وخالق هذا الكون، ليلتفت إلى التفكير فيه والتفكر به وفي الأسباب التي خلقه من أجلها. ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٦ ـ ٧٩] في هذه الآيات لم يذكر إبراهيم عليه السلام (الله) بهذه اللفظة بل قال: «**الذي فطر السموات والأرض**»، وإن ظاهر هذه الآيات لا يدل بالنسبة لقاصري العقول أنه قد قصد (الله)، بل تلك القوة، فعبّر إبراهيم عن عظمتها وجلالها وقدرتها بأنها التي فطرت السموات والأرض، وليس بالضرورة أن تكون تلك القوة التي ينشدها فعلاً. فهل عرف إبراهيم عليه السلام (الله) بهذه اللفظة؟

نورد قبل الإجابة ما قالوه بهذا الشأن:

«إن الإلٰه الذي كان إبراهيم يدعو إليه هو الإلٰه (إيل) خالق السموات والأرض[١] . وقد آمن بهذا الإلٰه كثير من الآراميين والكنعانيين. حتى الوثنيون قدّسوه أحياناً، الأمر الذي يفسّر إطلاق إسم (إيل) على كثير من الأماكن والأشخاص. فكلمة (إسرائيل) مكونة من لفظ (أسر) ومعناها: عبد، و(إيل) إلٰه إبراهيم، فتصبح الكلمة: (عبد الإلٰه)، وكذلك كلمة (خليل)، فهي مشتقة من (خل) و(إيل) أي: (صديق الإلٰه) أو حبيبه أو خليله وهو لقب إبراهيم».

وإلى هذا ذهبت دراسات أخرىٰ[٢]، فقالت:

«إن الشعوب التي عاشت قبل الديانات كانت تنظر إلى الخالق على أنه السيد، ويعبّرون عنها بلفظة: (ان)، ثم تطورت النظرة حين أحست أنه العالي، وأطلقوا على ذلك لفظة: (إيل).

وأضافوا: إنه ظهر مفهوم السيد (ان) قبل الألف الرابعة قبل الميلاد، وظلَّ كصفةٍ للقوة والسلطة المطلقتين التي توحي بهما لفظة الجلالة.

والأسماء التي تنتهي بهذا المقطع: (ان)، كان لها مدلول المعتقد الديني وهو التقرّب من الله والتيمّن به. مثل: عمر ـ ان (عمران)، عثم ـ (ان)، عثمان... ثم لحق بهذه اللفظة (ان) إمالة مضمومة فصارت (ون)، مثل: عبد ـ ون (عبدون)...، ثم تطورت هذه اللفظة: (ون) إلىٰ (إيل) في الألف الثالثة قبل الميلاد. وأضيفت إليه أسماء كثيرة مثل: جبرا ـ إيل (جبرائيل)، وتعني: جبر الله، وا ـ إيل (وائل)، الملتجىء إلى الله، خل ـ إيل (خليل) الله، إلخ[٣]...

---

(١) السعد، جودت، الشخصية اليهودية عبر التاريخ. إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر. وإيل: هو اسم الله بالعبرانية، ومعناه: القوي، القادر، المصدر: المعجم المدرسي، مادة: (إيل) ص ٧٧.

(٢) من منشورات الندوة الكنعانية.

(٣) ومما يجدر ذكره هنا أن مثل هذه الأسماء: جبرائيل، ميكائيل، خل إيل.. لم ترد في القرآن الكريم بهذه الألفاظ بل وردت بالألفاظ التالية: جبريل، ميكال، خليلاً ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النّساء: ١٢٥] ، بينما وردت كلمة إسرائيل في (٤١) آية في القرآن الكريم.

وقالوا أيضاً: إن الأسماء المسبوقة بـ (ان) و(ون) و(إيل) هي أسماء مؤلفة من مقطعين، تحتل تلك الألفاظ المقطع الثاني منها. وهي دائماً أسماء ذات معانٍ جميلة تتجلى بالصفات الكمالية في المحبة والرأفة والحنان. وهذه ماهي إلا صفات أسبغها الله على الإنسان فتمثل بها. وهي تشير على كل حال إلى سموّ معانيها وعمق دلالاتها واتساع دائرة شعاعها.

وكذلك قالوا: إن لفظة (إيل) قد تطورت حتى صارت: **الله**، كما يلي: يميل اللسان الآراميّ والعربي إلى مدّ الصوت، والألف والواو والياء هي حروف مدّ اللّين، والألف أمدّهن. (إيل) صارت: (إيلا)، والهاء حرف مهموس ضعيف، مخرجه أقصى الحلق وتسمى هاء الوقف أو السكت لأنها تلحق لبيان الحركات، فصارت اللفظة: (إيلاه)، ثم حُذفت الياء الساكنة استثقالاً لها بين متحركين: مكسور ومفتوح، فصارت: (إلاه)، فتحولت الهمزة إلى لام مفتوحة، فالتقى لامان متحركان، أدغموا الأولى في الثانية فقالوا: (اللاّه) ثم نطقها اللسان: **(الله)**.

عودة إلى السؤال السابق: هل كان إبراهيم عليه السلام يعرف **(الله)** بهذه التسمية؟ نعم. فلقد كان عليه السلام إماماً يُقتدى به، معلماً للخير، مطيعاً لله خاضعاً له، مبتعداً عن الشرك، مؤمناً بالله وحده، ولم يكن من المشركين.

وكان العقل المتجلي الذي تمرد على السلف ولم يقل: هذا ما وجدت عليه أبي، ولم تجعله سيادته في قومه يتنكّر لعبودية الله الخالق ﷻ.

وكان يعرف أن **الذي فطر السموات والأرض** هو **الله** بهذه التسمية وليس على أن القوة المطلقة التي يشعر بوجودها. ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[النحل: ١٢٠]، وكان يدعو إلى عبادة **الله** بهذه التسمية، ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾[العنكبوت: ١٦]. وحين حاجّه قومه قال: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ﴾[الأنعام: ٨٠]. وتحاور مع ملك ادعىٰ الألوهية، فذكر **الله** بهذه التسمية أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ . . .﴾[البقرة: ٢٥٨].

يخبرنا القرآن الكريم أن قوم إبراهيم عليه السلام كانوا يعبدون أصناماً لا تنفع ولا تضرّ، وهؤلاء عبدوها دون تفكير في أمرها، بل عبدوها لأنهم وجدوا من سبقهم يعبدها فاقتدوا بهم. ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾[الشعراء: ٦٩ ـ ٧٤] . فقاموا على عبادتها وخدمتها وهي لا تسمع دعاءهم حين يدعونها، ولا تنفعهم إذا عبدوها، ولا تضرّهم إن لم يعبدوها، ولم يجدوا جواباً على أسئلة إبراهيم عليه السلام إلا أن آباءهم كانوا يفعلون ذلك فاقتدوا بهم.

﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام: ٧٤] أي في بعدٍ واضح من الحق، ولذلك دعا ربه أن يجنبه وسلالته عبادة تلك الأصنام، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ﴾[إبراهيم: ٣٥، ٣٦] .

لقد كان ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ مناظراً لقومه مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الأصنام الأرضية التي صنعوها بأنفسهم أو التي صنعها آباؤهم، ومناظراً لهم أيضاً فيما عبدوه من الكواكب والنجوم. ففي الآيات التي سبقت: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٦ ـ ٧٩] لم يكن هو الذي يتفكر في أمر هذه الكواكب والنجوم فيختار أيها يعبد، بل كان يناظر قومه بأن تلك الكواكب والنجوم ـ وهي القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل، وأشدهنّ إضاءة وأشرفهن عندهم الشمس ثم القمر ثم الزهرة ـ لا تصلح جميعها للألوهية، لأنها مسخّرة، وحركتها مقدرة بسير معين لا تزيغ عنه يميناً ولا شمالاً ولا تملك إحداها لنفسها تصرفاً، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله لما له في خلقها من الحكم العظيمة، فهي تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب، ثم تغيب عن أبصار الناس ثم تبدو في الليلة القابلة على ما كانت عليه في الليلة الفائتة، ومثلها لا يصلح للألوهية، ثم انتقل إلى القمر فبيّن فيه مثل ما بين في النجم، ثم انتقل إلى الشمس فبين مثلما بين سابقاً، فنفى الألوهية عن هذه الأجرام الثلاثة وهي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع، فتبرأ هو من عبادتهن

وموالاتهنّ ووجه وجهه للذي فطر السموات والأرض حنيفاً يعبده خالقاً لهذه الأشياء ومسخراً لها ومقدراً ومدبراً وهو الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

وبحق إبراهيم عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء: ٥١] بأنه أهل للنبوة كفء لتحمل أعباء الرسالة، وقال تعالى بحقه أيضاً: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٦٧] أي مائلاً عن الأديان كلها إلى دين التوحيد وما كان مشركاً يعبد مع الله إلٰهاً آخر أبداً.

ولقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كل مولود يولد على الفطرة**». **قال تعالى**: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

كذلك، فلم يكن إبراهيم عليه السلام أول من ذكر (الله) بهذه التسمية، فالأقوام التي سبقته ذكرت (الله) بها أيضاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [الأعراف: ٧٣، هود: ٦١] وقال عزّ من قائل: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الصافات: ١٢٦].

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تدل على أن الله تعالى هو الذي سمى نفسه بهذا الاسم، واختصّ به دون سائر المخلوقات، ولم يطلقه عليه أحد، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٩]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

وهو اسم عظيم لدرجة أنه يصعب على الإنسان أن يفكّر في إحداثه كاسم، وهو مما لا يخطر على بال الإنسان لما له من العظمة والشمولية المطلقتين، ولما له من وقع في نفس كل إنسان.

إن الله تعالى منزّه عن الخضوع لأي تغيير أو تبديل، والذي تطور هو مفهوم

الإنسان له عبر العصور بحسب ما نظر إليه بعقله وعواطفه في كل عصرٍ حتى أتاه اليقين.

ولقد أوجب الإسلام على المكلفين معرفة الله ﷻ، وذلك عن طريق التفكّر في هذا الكون الفسيح وموجوداته، فبهذه المعرفة يستشعر الإنسان عظمة الوجود وعظمة خالقه. ومعرفة الله هي غاية الغايات وأشرفها قدراً، وهي مفتاح كل خير وسبيل إلى الهداية والبرّ. فكيف نعرف الله حق معرفته؟

إن المعرفة الحقيقية بالشيء هي الدخول فيه والتفاعل معه، وبالنسبة لعالم الغيب تكون معرفته بالإيمان بما أنزل الله سبحانه وتعالى به، كالموت، فكيف نعرف حقيقة الموت إن لم نمت؟ كالجنة والنار، فكيف نعرف نعيم الأولى وعذاب الثانية إن لم ندخل هذه أو تلك؟ والعياذ بالله من دخول الثانية. إن الإيمان بالله تعالى وبما أنزل على العباد بحقهما يجعلهم على معرفة تامة بحقيقة كل منهما. أما الله فإن معرفته تتجلى في صور وأشكال كثيرة جداً، ولعل أولها التفكر بهذا الكون وبما يشتمل عليه. ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

إن اليقين الذي توصل إليه الإنسان المتدين هو أن الله هو الواجب الوجود بذاته، الذي عنه يوجد كل مافي الإمكان وجوده وعلى أحسن وجوه النظام والكمال، وهذه الخاصية لا يتصور فيها مشاركة البتة، والمماثلة فيها لا تحصل أبداً. وبالتعامل معه عرف له صفات كثيرة تدور في فلك المطلق، منها رحمته تتراءى للعين والقلب في صور كثيرة أحس بها الإنسان في كل زمان ومكان، ومن المؤكد أنّه لم يعرف كامل ملكه الواسع معرفة كاملة، لكنه تيقّن من أنه منزّه من كل عيب وسليم من كل غشّ. مؤمن، عزيز، جبّار متكبّر، خالق، بارىء، مصور، غفار لمن تاب إليه، قهار على من لم يتب، وهاب رزاق، فتاح عليم، يقبض ويبسط، يرفع ويخفض، يعزّ ويذلّ، . . .

إن هذه الأسماء والصفات ترد بالإضافة إلى اسمه الأعظم، **الله**، الذي يدل على الذات الجامعة لصفات الألوهية كلها، ولذلك تضاف إليه لفظة: «**جل جلاله**» ومعناها عظم قدره، وهو مما لا يخضع إلى قواعد الاشتقاق في اللغة ولا يشترك المخلوق معه به لا مجازاً ولا حقيقة ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]. إن هذا الجزء من الآية يدل على نفي التشبيه، وجاء في تفسيرها: هل تعلم له

نظيراً؟ أي هل تعلم أحداً يستحق من الصفات ما يستحق الله عزّ وجلّ؟!...

ولما استخلف الله عباده في الأرض واستعمرهم فيها، فهو يناديهم للتخلق بها ما أمكنهم ذلك، فالتخلق بها هو الطريق إلى الخير والبر، وبها يعمرون الأرض العمارة التي أرادها الله. ولن يصل الإنسان إلى درجة الله تعالى في واحدة من صفاته، ويكفيه أن يسعىٰ إلى ذلك ما أمكنه السعي.

قال القرطبي: «الله»، هذا الاسم أكبر أسمائه سبحانه وتعالى وأجمعها، حتى قال بعض العلماء إنه الاسم الأعظم ولم يتّسم به غيره، وهو اسم لا يُثنّى ولا يُجمع وهو أحد تأويلي قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

ولقد اختُلف في لفظة الجلالة (الله) من حيث إنها مشتقة من معنى وما هو هذا المعنى. فمنهم من قال إن هذا الاسم غير مشتق من معنى، وهو اسم انفرد به الله تعالى فهو اسم خاص به. وذهب هذا المذهب كثير من العلماء فقال بعضهم: إن كل اسم من أسمائه يصلح للتخلق به[1] إلا هذا الاسم فإنه للتعلق لا للتخلق.

ومنهم من قال إنه مشتق من معنى، واختلف هؤلاء في المعنى الذي اشتق منه هذا الاسم. فمن هؤلاء من قال: إن الأصل فيه: إلٰه وإن كلمة إلٰه تعني الوصف أكثر ما تعني التحديد، ومنهم من قال: إنه مشتق من العلو والرفعة والقدم. إن لفظة (الله) هي علم على الذات الإلٰهية، وهو الاسم الجامع الفرد وهو غير مشتق من اسم آخر لأنه لا يخضع أصلاً إلى قاعدة الاشتقاق من اللغة.

خواصه وأسراره[2]:

ذكر الإمام الرازي في أول تفسيره أن لفظة الجلالة مختصة بخواصٍ فقال: اعلم أن هذا الاسم مختص بخواص لم توجد في سائر أسماء الله تعالى، ومنها:

الخاصة الأولى:

أنك إذا حذفت الألف من قولك الله بقي الباقي على صورة (لله) وهو

---

(١) وأرى بهذا الشأن أن بعض الأسماء لا تصلح للتخلق بالنسبة للإنسان، كالخالق، البارىء، المصور. المحيي والمميت ومثلها مما لاحظ للإنسان بذلك، فلها فوائد غير هذه الفائدة.

(٢) ولي، محمد، أسماء الله الحسنى وخواصها. ص ٩ بتصرف.

مختص به سبحانه وتعالى لقوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٤] ، ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧] فإن حذفت اللام الأولى من الباقي لله: بقيت البقية على صورة له لقوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزُّمَر: ٦٣] ، ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [التَغَابُن: ١] . وإن حذفت اللام الباقية كانت البقية قولك: هو، وهو أيضاً يدل عليه سبحانه وتعالى لقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ، ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥] .

الخاصة الثانية:

قال رسول الله ﷺ: «**أفضل ما قلت أنا والنبيّون من قبلي، لا إلٰه إلا الله**»(١). إن كلمة الشهادة هي الكلمة التي ينتقل بها الكافر من الكفر إلى الإيمان، فلم يحصل فيها إلا هذا الاسم. فلو أن الكافر قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الرحيم، أو إلا الجبار، أو إلا القهار أو إلا القادر(٢)... لم يخرج من الكفر ولم يدخل في الإيمان. وهو لا يخرج من الكفر ويدخل في الإيمان إلا إذا قال: «**أشهد أن لا إلٰه إلا الله**»

فضله:

إن اسم الجلالة «**الله**» هو أكثر الأسماء ثواباً وتعظيماً، والله تعالى قد اختص به فلا يسمى به غيره شرعاً. ومن آثار ذكر هذا الاسم التبرّي من الحول والقوة، وذكره يعدل ذكر معاني جميع أسمائه.

معنى لا إلٰه إلا الله:

إن القول الذي يبتدىء بالنفي يكون المراد منه غاية الإثبات ونهاية التحقيق، فحين تقول لا معين لي سواك فهذا آكد من أن تقول: أنت معيني.

معنى كلمة (هو):

حين تقول: هو، بالنسبة لغير الله يكون كلامك عن المعني ناقصاً، إذ يجب أن تقول: هو قائم أو هو قاعد ليكتمل كلامك، أما بالنسبة لله تعالى فهو الضمير

---

(١) رواه مالك.

(٢) لأن مثل هذه الأسماء هو مما يمكن للإنسان أن يتخلق به.

الدال على اسمه تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: ٢٢]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٠].

وكأن الرسل يدعون ربهم باسمه الرب أكثر ما يدعونه بأسمائه الحسنى. والرب لغة: هو المالك المطلق، المصلح المربي المتفضل بالزيادة.

وهو اسم من أسمائه الحسنى[١] التي وردت في حديث النبي ﷺ في روايتي ابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومعناه مربي كل شيء وخالقه ومالكه والقائم على حفظه واللطيف به، رب السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

(١) أحمد، عبد الجواد. ولله الأسماء الحسنى. ص ٢٦٥.